

الحمد لله مصرف الدهور والأزمان، العالم بما يكون وما قد كان، مرسل الرسل ومنزل الكتب هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، والصلاة والسلام على النبي العدنان، وعلى آله وصحبه في كل حين وآن، أما بعد:

فإن الوقت هو هذا الزمن الذي نعيشه وتمضي بسرعة أيامه وشهوره؛ قال ابن فارس -رحمه الله- :"الواو والقاف والتاء: أصل يدل على حد شيء وكنهه في زمان وغيره، منه الوقت: الزمان المعلوم".[مقاييس اللغة]

ولأهمية الوقت وعظم شأنه فقد أقسم الله به في آيات كثيرة منها قوله تعالى: {وَالْعَصْرِ* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}، والعصر هو الوقت الذي نعيش فيه، والدهر الذي تقع فيه أعمالنا.

قال ابن فارس: "العين والصاد والراء أصول ثلاثة صحيحة: فالأول دهر وحين..." [مقاييس اللغة] وقال ابن كثير رحمه الله: "العصر: الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم، من خير وشر". [التفسير]، وقال القرطبي رحمه الله: "أقسم الله به عز وجل، لما فيه من التنبيه بتصرف الأحوال وتبدلها، وما فيها من الدلالة على الصانع". [التفسير]

وقد جعل الله هذا الوقت، وما فيه من تعاقب الليل والنهار؛ تذكرة لمن يتذكر، وحجة لمن أراد أن يستبصر؛ قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا}.

قال الطبري رحمه الله: "جعل الليل والنهار، وخلوف كل واحد منهما الآخر حجة وآية لمن أراد أن يذكر أمر الله، فينيب إلى الحق، {أو أراد شكورا} أي: أراد شكر نعمة الله التي أنعمها عليه في اختلاف الليل والنهار". [التفسير]

نعم أيها الأخ الحبيب، إن في عمرك، وسرعة انقضائه؛ آيةً قائمة وذكرى بالغة، قال تعالى: {أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ} قال ابن كثير رحمه الله: "أي: أو ما عشتم في الدنيا أعمارا لو كنتم ممن ينتفع بالحق لانتفعتم به في مدة عمركم؟". [التفسير]

واختلفوا في مقدار هذا العمر، والصحيح أنه ستون سنة لما روى البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أعذر الله إلى امرئ أخر أجله، حتى بلغه ستين سنة).



صحيفة النبأ العدد 300
الخميس 10 محرم 1443هـ



وقال فضيل بن عياض لرجل: كم أتت عليك؟ قال: ستون سنة، قال: فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك توشك أن تبلغ!، فقال الرجل: يا أبا علي إنا لله وإنا إليه راجعون، قال له الفضيل: تعلم ما تقول، قال الرجل: قلت إنا لله وإنا إليه راجعون. قال الفضيل تعلم ما تفسيره؟ قال الرجل: فسره لنا يا أبا علي، قال: قولك إنا لله، تقول: أنا لله عبد، وأنا إلى الله راجع، فمن علم أنه عبد الله وأنه إليه راجع، فليعلم بأنه موقوف، ومن علم بأنه موقوف فليعلم بأنه مسؤول، ومن علم أنه مسؤول فليعد للسؤال جوابا، فقال الرجل: فما الحيلة، قال: يسيرة، قال: ما هي؟ قال: تحسن فيما بقي يغفر لك ما مضى وما بقي، فإنك إن أسأت فيما بقي أخذت بما مضى وما بقي". [حلية الأولياء]

وللأسف فإن أغلب الناس اليوم مضيعون لأوقاتهم، مقصرون في طاعة ربهم فيها؛ وقد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ).

قال ابن كثير رحمه الله: "ومعنى هذا: أنهم مقصرون في شكر هاتين النعمتين، لا يقومون بواجبهما، ومن لا يقوم بحق ما وجب عليه، فهو مغبون".[التفسير]

وفي المقابل فقد كان حال الصالحين من عباد الله الاهتمام بالوقت، وعدم تضييع القليل منه فعن محمد بن مبشر الكرميني، قال: انكسر قلم محمد بن سلام البيكندي -وهو شيخ البخاري- في مجلس شيخ، فأمر أن ينادى: قلم بدينار، فطارت إليه الأقلام [سير أعلام النبلاء]

فانظر يا رعاك الله إلى اهتمامه أن لا يفوت عنه شيء من وقته، فآثر أن يبذل دينارا من الذهب -وهو مبلغ غير يسير- حفظا لوقته، وأن لا يفوت عليه شيء من درس شيخه.

وقال ابن الجوزي رحمه الله: "لقد رأيت خلقا كثيرا يجرون معي فيما قد اعتاده الناس من كثرة الزيارة، ... فتراهم يمشي بعضهم إلى بعض، ولا يقتصرون على الهناء والسلام، بل يمزجون ذلك بما ذكرته من تضييع الزمان. فلما رأيت أن الزمان أشرف شيء، والواجب انتهابه بفعل الخير...، فصرت أدافع اللقاء جهدي: فإذا غلبت، قصرت في الكلام، لأتعجل الفراق. ثم أعددت أعمالا تمنع من المحادثة لأوقات لقائهم، لئلا يمضي الزمان فارغا، فجعلت من المستعد للقائهم: قطع الكاغد (أي: الأوراق)، وبري الأقلام، وحزم الدفاتر، فإن هذه الأشياء لا بد منها، ولا تحتاج إلى فكر، وحضور قلب، فأرصدتها لأوقات زيارتهم!!، لئلا يضيع شيء من وقتي. نسأل الله عز وجل أن يعرفنا شرف أوقات العمر، وأن يوفقنا لاغتنامه".[صيد الخاطر]





وكما قيل:

والوقت أنفس ما عنيت بحفظه *** وأراه أسهل ما عليك يضيع

والصالحون من عباد الله يسعون دائما أن يكون يومهم أفضل من أمسهم، وغدهم أفضل من يومهم وهكذا.

قال ابن رجب رحمه الله -في لطائف المعارف-: "قال بعضهم: كان الصديقون يستحيون من الله أن يكونوا اليوم على مثل حالهم بالأمس! يشير إلى أنهم كانوا لا يرضون كل يوم إلا بالزيادة من عمل الخير، ويستحيون من فقْد ذلك ويعدونه خسرانا كما قيل:

أليس من الخسران أن لياليا *** تمر بلا نفع وتحسب من عمري"

أيها المسلمون إن أغلى أوقاتكم هي أوقات شبابكم، فبه صحتكم وقوتكم، وهو بين ضعفين الصغر والكبر، كما قال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً}، قال البغوي رحمه الله: " أي من بعد ضعف الطفولة شبابا وهو وقت القوة، ثم جعل من بعد قوة ضعفا هرما وشيبة" [التفسير]

واعلم أخي بارك الله فيك أنك ستسأل عن عمرك -لا سيّما شبابك في حال صحتك وفراغك- فاغتنمه في عبادة الله فهي وصية نبيك صلى الله عليه وسلم فعن ابن عباس، رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه: (اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك)، قال الحاكم في المستدرك [صحيح على شرط الشيخين].

وعن الحسن البصري أنه قال ذات يوم لجلسائه: "يا معشر الشيوخ: ما ينتظر بالزرع إذا بلغ؟ قالوا: الحصاد، قال: يا معشر الشباب: إن الزرع قد تدركه العاهة قبل أن يبلغ".[الزهد للبيهقي] فإياك أن تسوف وتؤجل فالموت أقرب من الأمل؛ وكان بلال بن سعد يقول: "عباد الرحمن يقال لأحدنا: تحب أن تموت؟ فيقول: لا، فيقال: لم؟ فيقول: حتى أعمل، فيقال له: اعمل، فيقول: سوف، فلا يحب أن يموت ولا يحب أن يعمل!! وأحب شيء إليه أن يؤخر عمل الله عز وجل ولا يحب أن يؤخر عنه عرض دنياه" [المرجع السابق]



أدرك وقتك يا مسلم

ولا تشغل نفسك بما لا يفيد فتضيع عمرك فيما لا نفع فيه لك في دنياك وآخرتك، ولا تغتر بتضييع الكثير لأوقاتهم؛ قال ابن الجوزي رحمه الله: "رأيت عموم الخلائق يدفعون الزمان دفعا عجيبا: إن طال الليل، فبحديث لا ينفع، أو بقراءة كتاب فيه غزل وسمر!! وإن طال النهار، فبالنوم! وهم في أطراف النهار على دجلة أو في الأسواق! فشبهتهم بالمتحدثين في سفينة، وهي تجري بهم، وما عندهم خبر!". [صيد الخاطر]

وقد ودعنا عاما هجريا وها نحن في مستهل عام جديد والموفق من رسم لنفسه هدفا فيه حتى لا تضيع عليه الشهور والأسابيع وتتفلت من بين يديه فيفجؤه العام القادم بلا فائدة تذكر.

أخي المسلم، لا يوفّق إلى معرفة قيمة الوقت ثم استغلاله إلا القليل القليل؛ قال ابن الجوزي رحمه الله:" ولقد شاهدت خلقًا كثيرًا لا يعرفون معنى الحياة: فمنهم من أغناه الله عن التكسب بكثرة ماله، فهو يقعد في السوق أكثر النهار، ينظر إلى الناس، وكم تمر به من آفة ومنكر! ومنهم من يخلو بلعب الشطرنج! ومنهم من يقطع الزمان بكثرة الحديث عن السلاطين والغلاء والرخص، إلى غير ذلك: فعلمت أن الله تعالى لم يطلع على شرف العمر ومعرفة قدر أوقات العافية إلا مَن وفقه وألهمه اغتنام ذلك، {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}" [صيد الخاطر]

فنسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعلنا ممن يعرف للوقت قيمته، فيستغله في زيادة إيمانه وطاعة ربه والجهاد في سبيله، والنصح لخلقه، والصبر على ذلك، لينجي نفسه من الخسارة الأبدية، والحمد لله رب العالمين.



